البيئة في التراث الثقافي وكوارث الحروب

● العلاقة بين البيئة والإنسان من أهم المواضيع العصرية الدائرة في معركة استنزافية ليس لها منتهى، ولم تصرف في القرون الماضية من الأموال على أي شيء مثلما تصرف في هذا العصر لمكافحة الأخطار البيئية، وذلك على المستوى الدولي.

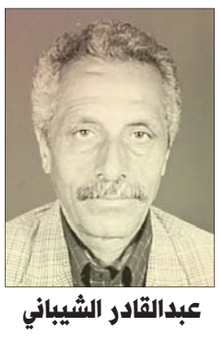
عبدالقادر الشيباني

وقد تناول العلماء والجغرافيون قضايا البيئة من أوائل القرن العشرين بشكل مستفيض، هذا وقد سبق من الجغرافيين والمفكرين الأوائل أن بحثوا باهتمام قضايا البيئة والإنسان.

ولعل من أبرز من كتب في هذا الشأن – الهمداني والمسعودي وابن خلدون، وقد تبنى هؤلاء أفكار اليونان الحتمية التي تقول: »بأن البيئة تؤثر في الإنسان من حيث الشكل واللون والصفات الجسمية، والسلوك والطابع والأخلاق والأنشطة«.

ومهما بلغ الإنسان من التقدم والرقي في زمن العلم والتكنولوجيا مهما كان متقدماً في دنيا التقنية والصناعة إلا أن مشاكل البيئة التي ساهم في تفاقمها تطارد راحته في بيته وفي الشارع وفي عمله.

الحروب هي أفدح الكوارث

■ مر القرن العشرون وفيه وقعت أحداث جسام ولعل الأضر منها أحداث الحربين العالميتين في القرن العشرين والتي خلفت من الكوارث والدمار وأتت على الأخضر واليابس ولم تترك إلا الفناء للمباني والبشر والإضرار بالطبيعة وكانت فيها كارثة القنبلة الذرية، على هيروشيما ونكازاكي في أواسط أربعينيات القرن المنصرم، وتعد القنبلة الذرية تلك كارثة مروعة مدّمرة للإنسان والأرض وكثير من الخيرات المادية.

أما حروب هذا القرن الحادي والعشرين فأشد وأمر وأخطر لا على الإنسان فحسب.. ولكن على كل شيء في البر والبحر والجو والمناخ وسائر أرجاء المعمورة.

الأرض

■ جاء في أكثر من تقرير دولي نتيجة للدراسات العلمية الحديثة أن الأرض عمرها حسب آخر دراسة معقولة وأقرب إلى الواقع تصل من بين (١٠ – ١٢) ألف مليون سنة.. أما عمر الكون فقد نوقش في مؤتمر علمي عقد قبل ربع قرن في مدينة ألمانية شارك نحو (٢٥٠) باحثاً وعالماً متخصصين في شتى فروع الفيزياء.

لقد اختار الله لنا هذا الكون ليصبح البيئة التي عليها نعيش، بشراً ونباتاً وأشجاراً وحيوانات وكائنات عديدة، أما أول ظهور للإحياء على الأرض قبل (٣) آلاف مليون سنة، أما عمر الإنسان على هذا الكوكب فيصل إلى أكثر من مليون سنة وفي دراسة علمية، للدكتور سمير رضوان بعنوان »تقدم العلم وتلوث البيئة«، يقول: »كلما خطا العلم خطوة صاحبه التلوث بخطوتين«، فالمعركة لا تزال مستمرة بين البيئة والإنسان.

وحتى الآن استطاعت البيئة في معركة استنزافية أن تتغلب على الإنسان، فحاول أن يوجه إليها صفعة فصفعته عشر صفعات، زد على ذلك مضاعفة الكوارث في زمن الحروب.

المفهوم

■ مفهوم البيئة عند غالبية الجغرافيين والمفكرين من العرب كان أوسع تعريفاً، فقد كان يشمل السماء والماء، السماء بما فيها من نجوم وأقمار وكواكب وأبراج.

ولعل التعريف المبسط حالياً »أن البيئة هي كل ما يحيط بالإنسان من مظاهر ومؤثرات«، وتشمل مكونات البيئة الطبيعية الموقع ومظاهر السطح وتضاريسه والأحوال المناخية والنبات والحيوان ولم يقتصر تأثير البيئة على ألوان البشر وسلوكهم وأخلاقهم، بل شمل الخصائص البدنية والمعيشية والسلوك بشكل عام.

بيئة القرن العشرين

■ جاء في التقرير العالمي الذي تم إنجازه أخيراً أن (٢٥) ألف إنسان يموتون كل يوم نتيجة للمياه الملوثة، وتمثل الأمراض الناتجة عن المياه أهم عامل عن مرض وموت آلاف الأشخاص على مستوى العالم.

فجاء أن أكثر من ثلث العالم في حرمان من المياه الصافية للشرب، وفي تقرير آخر، أن حوالي ربع سكان العالم سيعانون في السنوات القادمة من نقص في الموارد المائية ويعتمد أكثر من ١.٥ بليون إنسان على المصادر الجوفية، أما امداد مناطق المدن الكبيرة بالمياه العذبة فتمثل مشكلة المشاكل على مستوى العالم، ولا سيما حماية موارد المياه الجوفية.

أما إذا أتينا إلى وضعنا في اليمن فالمياه شحيحة ويستمر النضوب وتهدر المياه العذبة بشكل ليس له مثيل خاصة استنزاف أكثر المياه العذبة لأشجار القات، وهذا موضوع المياه والقات في اليمن ستفرد له دراسة من أكثر الباحثين في الزراعة والأشجار.

□ بريشة/ هاشم علي

الواقع أن المياه تمثل في المستقبل العائق الرئيسي للتنمية في مناطق عديدة من العالم. وتشير التقريرات إلى أن إجمالي الطلب على المياه بمنطقة غرب آسيا بلغ حداً كبيراً لا يبشر بالخير.

التأثير على الأخلاق والسلوك

■ اعتقد العرب بتأثير البيئة متمثلة في المناخ، في سلوك الناس وأخلاقهم، وقد خصص ابن خلدون المقدمة الرابعة، وعنوانها »في أثر الهواء في أخلاق البشر«، وفيها يقول: وقد رأينا من خلق السودان، –يقصد الزنوج – على العموم الخفه والطيش وكثر الطرب، فنجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع، موصوفين بالحمق في كل قطر، والسبب الصحيح في ذلك أنه تقرر في موضعه من الحكمة، أن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتفشيه وطبيعة الحزن بالعكس، وهو انقباضه وتكاثفه وتقرر أن الحرارة معشية للهواء والبخار مخلخلة له وذلك يجد المنتشى من الفرح والسرور.

العلاقة بين الإنسان والبيئة في التراث

■ هذا موضوع هام بحث فيه الدكتور محمد علي الفراء ونزلت دراسة منه في مجلة العربي ١٩٨٨م في شهر يناير، جاء فيه أن الأفكار البيئية تنتقل إلى أوروبا، ولقد تتلمذ الأوروبيون على العلماء العرب، وقاموا بترجمة كتبهم، واعتنقوا الكثير من آرائهم وأفكارهم في مختلف العلوم والمعارف، وتبنوا آراء ابن خلدون، كذلك (مونتسكيو) يردد أقوال ابن خلدون، ويقول »بأن المناخ الحار هو سبب الجمود في العادات والتقاليد والقوانين، وسكان المناطق الحارة ضعاف الأجسام كسالى.

■وقال المفكر الفرنسي (بودان) الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس عشر بأن للبيئة تأثيراً على البشر، فسكان الأقاليم الشمالية يتصفون بالقسوة والغلظة، أما أهل الأقاليم الجنوبية فأصحاب مكر ودهاء، ويميلون للانتقام، ولكنهم يمتلكون القدرة على التمييز بين الحق والباطل.

ويتميز سكان الأقاليم المعتدلة بأنهم أوفر حظاً في المواهب من أهل الشمال.. وأكثر نشاطاً من أهل الجنوب.. وهم وحدهم يمتلكون موهبة التدبير التي لا غنى عنها في قيادة الشعوب، أما سكان جنوب آسيا يتصفون عموماً بالتشابه في الصور واعتدال البدن والأنفس وهم أصحاب سياسة أشداء محبون للحرية كرماء وفي هذا القسم تقع شبه الجزيرة وفيها اليمن.

الماجستير بامتياز للباحث اليمني مبروك السودي

عن رسالته حول »تقويم الكفاءات التدريسية لأعضاء هيئة التدريس في الجامعات«

القاهرة – الثورة

حصل الباحث مبروك صالح علي السودي على درجة الماجستير بتقدير ممتاز من معهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة قسم التعليم العالي والجامعي، بعد المناقشة العلنية لرسالته الموسومة بـ: تقومي كفاءة الأداء التدريسي لأعضاء هيئة الدريس في كليات التربية بالجامعات اليمنية في ضوء معايير الجودة، وقد تشكلت اللجنة المناقشة من كل من الأساتذة: الأستاذ الدكتور: علي أحمد مدكور رئيس اللجنة والمشرف على الطالب والأستاذ الدكتور. حسن شحاتة عضو اللجنة والمناقش الخارجي، والأستاذ المساعد الدكتور. محمد لطفي محمد جاد عضو اللجنة والمناقش الداخلي، وقد نالت الرسالة رضى واستحسان لجنة المناقشة ذلك بما اعتمدته من منهج واضح ومعالجة سليمة للقضايا التي درستها وكون الموضوع المدروس يتصل بجانب التعليم العالي والجامعي وهو ما يجعل الدراسة والبحث فيه شائكا نظرا لمايحيط به من مصاعب في جوانب عدة موضوعية وذاتية لاسيما في الجامعات اليمنية التي تفتقر لتطبيق المعايير الدقيقة في الاداء التدريسي الاكاديمي في كلياتها المختلفة

ت. س. إيليوت

● مؤلفا هذا الكتاب هما كريغ رين ودوغلاس ب. فراي، الأول شاعر وناقد انجليزي معروف. وكان أستاذاً في جامعة أوكسفورد قبل أن يتفرغ للنشر والكتابة. وهو المؤلف الأساسي للكتاب. أما الثاني فهو أستاذ أيضاً في أوكسفورد وصاحب العديد من المؤلفات.

ويرى كريغ راني منذ البداية أنه قد انتشرت إشاعات كثيرة عن أشهر شاعر في القرن العشرين: ت. س. ايليوت. فقد اتهموه بالغموض، والتطرف في التجريب الشعري والخروج على المألوف، الخ. ولكنه في الواقع كان كاتبا واضحاً يعرف ماذا يريد. فهناك وحدة عضوية تربط بين شعره ومسرحه وكتاباته النقدية. وشعره على الرغم من الغموض الذي يكتنفه وولعه بالتجريب والتجديد كان يحتوي على معنى محدد مثله في ذلك مثل الشعر العادي أو التقليدي. ولكن ينبغي أن نعرف كيف نقرأه لكي نصل إلى هذا المعنى.

ثم يردف المؤلف قائلاً: لقد ولد توماس ستيرنز ايليوت في الولايات المتحدة عام ١٨٨٨ومات في لندن عام ١٩٦٥ عن عمر يناهز السابعة والسبعين. وكانت عائلته غنية لأن والده كان رجل أعمال كبيراً وأمه مدرسة قبل أن تنخرط في كتابة الشعر.

وكان آخر العنقود في عائلة تضم ثلاثة أطفال آخرين، بنتين وصبي. وقد درس ت. س. ايليوت في أفضل المدارس قبل أن ينتقل إلى جامعة هارفارد الشهيرة بين عامي ١٩٠٩–١٩٠٦ حيث نشر أولى قصائده وعمره لا يتجاوز الثامنة عشرة.

وفي عام ١٩١٠ تخرج من الجامعة وسافر إلى فرنسا حيث درس في السوربون بين عامي ١٩١١.–١٩١٠ وبالتالي فكان يعرف الفرنسية، وهذا ما ساعده على قراءة الشعر الفرنسي بلغته الأصلية والتأثر به وخاصة شعر الحداثة.

وبعدئذ عاد إلى هارفارد حيث واصل دراسة الفلسفة، وقد شغف بالفلسفة الهندية–الآرية وكذلك بالعقيدة البوذية. وفي عام ١٩١٤ حصل على منحة للدراسة في جامعة أوكسفورد بانجلترا، وكان هذا أكبر ما يطمح إليه المثقف الأميركي في ذلك الزمان. فانجلترا تظل الوطن الأم بالنسبة للأميركان، وتظل مصدر الآداب الانجليزية ومهدها.

وكان يريد أن يذهب إلى ألمانيا لمتابعة دراسة الفلسفة في جامعاتها ولكن اندلاع الحرب العالمية الأولى حاله بينه وبين تحقيق هذا الهدف. ولكنه لم يكن سعيداً في جامعة أوكسفورد، ولذلك قلم يجدد منحته للعام القادم. وراح يشغل نفسه بكتابة أطروحة الدكتوراه وإرسالها إلى جامعة هارفارد. وقد قبلتها الجامعة. ولكن بما أنه لم يكن موجوداً أثناء مناقشتها فإنه لم يحصل على شهادة الدكتوراه! وفي أثناء هذه السنوات تعرف على بعض الشخصيات الهامة من أدبية وفلسفية. نذكر من بينهم: الفيلسوف الفرنسي هنري بيرغسون، والفيلسوف الانجليزي برتراند رسل.

ثم يردف المؤلف قائلاً: وبعدئذ تزوج ت. س. ايليوت من سيدة انجليزية عام ١٩١٥ تدعى فيفين هين وود. وقد كتب عندئذ رسالة إلى أحد أصدقائه يقول فيها: لقد أقنعت نفسي بأني مغرم بفيفين لكي أبقى في انجلترا بكل بساطة. فأنا لا أريد العودة إلى أميركا. وقد اقتنعت هي تحت تأثير عزراباوند بأنها عن طريق هذا الزواج سوف تنقذ إنساناً أو شاعراً ضائعاً وتجبره على البقاء في انجلترا. ولم يقدم لها الزواج أي سعادة. أما أنا فقد وضعني في حالة نفسية أدت إلى كتابة: الأرض الخراب! وهذا يعني أن زواجه كان سعيداً جداً ولا يقل خراباً على الأرض الخراب نفسها.

وفي عام ١٩٢٧ حصل ت. س. ايليوت على الجنسية البريطانية واعتنق المذهب الانجليكاني، أي مذهب أغلبية الانجليز. ثم انفصل عن زوجته عام ١٩٣٣. ولكنها لاحقته، بل وانضمت إلى الاتحاد البريطاني للفاشيين حباً به لأنها عرفت أنه ميال إلى أطروحاتهم ومعجب بموسوليني.

وكانت تحضر محاضراته العامة لكي تذكره بوجودها وتدعوه للعودة إلى البيت. وقد جنت في نهاية المطاف ووضعوها في المصح العقلي طيلة السنوات التسع الأخيرة من حياتها دون أن يكلف نفسه شاعرنا الكبير زيارتها ولو مرة واحدة. وقد كشف بذلك عن انعدام في الحس الإنساني لديه.

ثم يردف المؤلف قائلاً بما معناه: أما زواجه الثاني فكان سعيداً، فقد تزوج سكرتيرة منذ عام ١٩٤٩ يوم عشرة يناير ١٩٥٧ عندما كان عمره سبعين عاماً تقريباً. وكانت تصغره بثمانية وثلاثين عاماً. ولم يعش معها أكثر من ثمان سنوات لأنه مات عام.١٩٦٥ ولكنهما كانا سعيدين جداً.

وقد أمضت هذه الزوجة الثانية عمرها في رعاية أعماله الأدبية والاحتفال بذكراه بعد أن مات وأصبحت هي أرملة. وهذا وفاء منقطع النظير وبخاصة بالنسبة لامرأة أوروبية. فهي التي أشرفت على نشر رسائله والتعليق عليها وشرحها.

هذا وقد دفن ت. س. ايليوت في نفس القرية التي كانت لهم قبل أن تهاجر عائلته إلى أميركا. وبالتالي فقد عاد إلى أصله في نهاية المطاف. في الواقع أن ت. س. ايليوت أمضى معظم حياته في انجلترا. ولكنه أقام في باريس أيضاً في العشرينات من القرن الماضي حيث تعرف على كبار الشعراء والفنانين الذين كانت تحفل بهم العاصمة الفرنسية آنذاك من أمثال اندريه بريتون زعيم السورياليين أو بيكاسو أو سواهما.

وقد انهمك عندئذ في دراسة اللغة السنسكريتية والأجيان الشرقية القديمة: أي أديان الهند على وجه الخصوص. ينبغي العلم بأن أشهر قصيدة لإيليوت، أي أرض الخراب، كتبها وعمره لا يتجاوز الثالثة والثلاثين. كان ذلك عام١٩٢٢ ، وقد كتبها وهو في أشد حالات المعاناة مع زوجته الأولى حيث لم يكن سعيداً على الإطلاق كما ذكرنا.

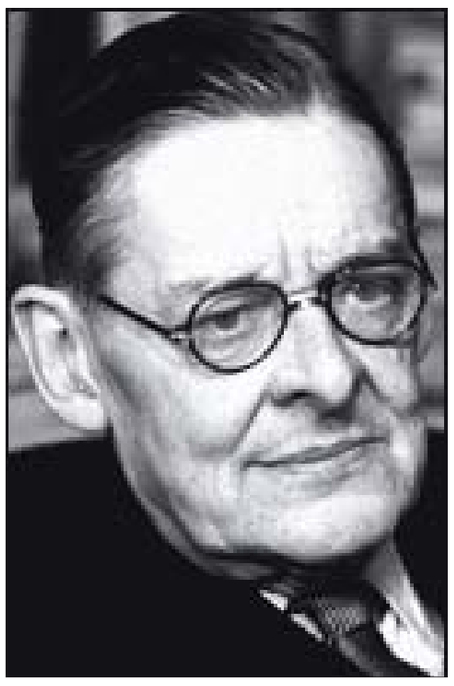

وبالتالي فقد انعكست هذه الأحداث الشخصية على القصيدة بشكل أو بآخر. كما وانعكست عليها خيبات جيل بأسره: وهو الجيل الذي خرج محطماً من الحرب العالمية الأولى. من هنا جو التشاؤم الذي يخيم على القصيدة. إنه جو العبث والضياع والعدم. ومع ذلك فقد أصبحت هذه القصيدة المثل الأعلى للحداثة الشعرية البريطانية. بل ويعتبرها البعض أهم قصيدة في القرن العشرين أو على الأقل من أهمهما.

ولكنه فيما بعد راح يأخذ مسافة عنها لأنه وجدها كئيبة أو مظلمة وسوداوية أكثر من اللزوم. وقد كتب بهذا الصدد يقول: فيما يخص الأرض اليباب (أو الأرض الخراب) فإني أعتبرها شيئاً من الماضي. وقد تجاوزتها الآن وأنا مستدير في هذه اللحظة نحو المستقبل، أي نحو شكل جديد أو أسلوب جديد للشعر.

ولكن على الرغم من شكلها المزعج والصعب والمعقد والمتشتت فإن هذه القصيدة هي التي خلدته بعد أن أصبحت منارة للشعر الانجليزي بل وللحداثة الشعرية ككل. فعندما يذكر اسم ت. س. ايليوت تخطر على البال فوراً قصيدة الأرض اليباب. لقد ارتبط اسمه بها رغماً عنه.

والواقع أن القصيدة خليط من الأزمنة والأمكنة والمرجعيات الثقافية المستعارة من الحضارات البشرية الأخرى. إنها عبارة عن فوضى خلاقة إذا جاز التعبير. وقد أصبحت بعض فقراتها عبارات شائعة في اللغة الانجليزية اليومية. نذكر من بينها قوله: نيسان أقسى الشهور؛ أو سوف أريكم الخوف في حفنة من الرماد، الخ.

ثم يردف المؤلف قائلاً: بعد أن اعتنق ت. س. إيليوت المذهب الانجليكاني أصبح متديناً لأول مرة، وأصبح متعلقاً بالتراث البريطاني وقيمه العريقة التي تضرب بجذورها في أعماق الزمن. باختصار لقد أصبح رجلاً محافظاً بل ورجعياً بحسب رأي البعض. وقد عرّف نفسه آنذاك بأنه: كلاسيكي من حيث الفن والأسلوب، وملكي من حيث القناعات والأفكار السياسية، وانجليكاني كاثوليكي من حيث العقائد الإيمانية.

وقد شهدت هذه الفترة ظهور كتاباته التالية وبالأخص: أربعاء الرماد، رحلة السحرة، وأربع رباعيات. وقد اعتبر ايليوت هذه القصيدة الأخيرة بمثابة رائعة أعماله. وهي مبنية على العناصر الأربعة وعلى الجوانب الأربعة للزمن: أي الزمن اللاهوتي، والزمن التاريخي، والزمن الفيزيائي الطبيعي، والزمن البشري.

ثم ألف ايليوت مجموعة مسرحيات معظمها مكتوب شعراً لا نثراً. نذكر من بينها: جريمة قتل في الكاتدرائية)١٩٣٥ (، وحفلة كوكتيل)١٩٥٠(، ورجل دول عجوز). ١٩٥٨ (هذا وقد اختير؟ ت. س. ايليوت ؟كعضو في لجنة كبيرة مكلفة بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الانجليزية الحديثة، وهذا أكبر دليل على أنه كان قد أصبح متديناً فعلاً ويوثق به من هذه الناحية.

وفي عام ١٩٤٨ توجت حياته الأدبية بمنحه جائزة نوبل للآداب وكان في الستين من عمره. وقد صرحت لجنة استوكهولم الموقرة بأنها منحته الجائزة تقديراً للإنجازات الكبرى التي حققها بصفته رائداً للشعر الحديث.

● الكتاب:ت. س. ايليوت
● الناشر:مطبوعات جامعة أوكسفورد٢٠٠٦
● الصفحات ٢٢٤:صفحة من القطع الكبير